

*Ralph Mercer | رالف ميرسر

**Translation: Thaer Deeb | ترجمة: ثائر ديب

تعليم يليق بالمستقبل

Education Fit for the Futures

الرقم التعريفي DOI

<https://doi.org/10.31430/TGVX7675>



* Ralph Mercer, "Education Fit for The Futures," *Human Futures Magazine* (May 2023), pp. 28-33.

Syrian writer and translator.

** كاتب ومترجم سوري.

أكثر ديناميّةً. فالتعليم التقليدي عادةً ما يضع البشر في مركز الإنتاج المعرفي. لكنّ الفكر الفلسفي ما بعد الإنساني يسعى إلى نزع مركزية الإنسان، رافضاً الإنسانية باعتبارها موضوعاً ناظماً للتعليم، وموفراً وسيلةً لدمج المنظورات اللاإنسانية، والأكثر من إنسانية، والإنسانية المهمّشة في المنهاج.

تطرح الواقعية الفاعلية⁽²⁾ أنّ العالم هو عملية صيرورة مترابطة. وفي سياق التعليم، يجب أن يكون الطلاب مشاركين فعّالين في بناء معرفتهم، وهذا ما يشدّد على أهميّة السياق، وبتشجيع الطلاب على استكشاف المنظورات المتنوّعة والتفكير نقدياً في ما يتلقونه من معلومات، نستطيع أن نتخطّى فكرة الحقائق الثابتة الموضوعية التي تضيق نظرنا إلى المستقبلات.

يتيح نقد فوكو للفروع أو الاختصاصات الأكاديمية⁽³⁾ للمتعلّم أن يرى منظوراً قيماً في مساءلة الواقع القائم. فهو يرى أنّ الفروع الأكاديمية يبنينا بناءً من هم في السلطة وليست حقول دراسة موضوعية. ودمج هذا النقد في التعليم يعزز

تخيّل عالمًا يكون فيه التعليم أكثر من حفظٍ أصمّ واختبارٍ موحّد، عالمًا يشجّع فيه الطلاب على استكشاف ترابط الأشياء جميعاً واعتناق مقاربةٍ للتعلّم أكثر شمولاً وأخلاقاً ومسؤوليّةً. وإنّما لتتضح على نحو متزايد حقيقة أنّ نظامنا التعليمي لا يفي بالعرض ويحتاج إلى تغييرٍ جذري لمجاراة التقدّم التكنولوجي، والأزمة المناخية المتسارعة، ومتطلّبات استشراف المستقبلات.

ما الذي سيبدو عليه، إذاً، هذا الإطار التعليمي المُعاد تخيُّله؟ أولاً، سيكون هناك انتقالٌ من المواضيع التقليدية المحدّدة المجال صوب مقاربةٍ أشمل، فيها المواضيع مترابطة، والتعلّم المتعدّد الاختصاصات. وهذا يعني أنّ الطلاب سيشجّعون على استكشاف العلاقات المعقّدة بين حقول المعرفة المتنوعة وفهم الترابط بين جميع الأشياء.

لننظر كيف يمكن دمج مفاهيم فلسفية معاصرة مثل مفهوم ميشيل فوكو (Michel Foucault) "تقنيات الذات"، والفكرة الفلسفية ما بعد الإنسانية حول التكنولوجيا بوصفها سمة إنسانية⁽¹⁾، بما في ذلك استخدام "المحوّل التوليدي

مسبق التدريب-4" (GPT-4) كدليل تعليمي شخصي مرافق، ومفاهيم الواقعية الفاعلية (Agential Realism)، أن يخلق تجربة تعليمية

2 نظرية كارين باراد الواقعية الفاعلية هي مقارنةً ما بعد إنسانية للبحث تركّز على الممارسات والعمليات بدلاً من النتائج، و"الواقعية الفاعلية" إطار عملٍ معرفي - كياني - أخلاقي يوفّر فهماً لدور العوامل الإنسانية وغير الإنسانية، المادّية والخطابية، الطبيعية والثقافية في الممارسات العلميّة والبحثية، فتحرك بذلك المفاهيم التي تدعم مثل هذا التفكير الثنائي، ومن ضمنها أفكار المادة والخطاب والسببية والفاعلية والقوة والهوية والتجسيد والموضوعية والمكان والزمن:

Karen Barad, *Meeting the Universe Halfway: Quantum Physics and the Entanglement of Matter and Meaning* (Durham, NC: Duke University Press, 2007), p. 26.

3 يرى فوكو في كتابه *المراقبة والمعاقبة: ولادة السجن* (1975) أنّ الفروع الأكاديمية شديدة التشابك مع بني السلطة في المجتمع. وبحسب فوكو، فإنّ المعرفة تُنتج وتُنشر وتُحفظ لخدمة مصالح من في السلطة، ما يمكن من رؤية الفروع الأكاديمية بالنتيجة بوصفها أدوات لدعم ديناميات السلطة القائمة لا مستودعات للمعرفة الموضوعية.

1 تُعدّ التكنولوجيا في الفكر الفلسفي ما بعد الإنساني سمةً من سمات العناد البشري. و"العناد" هنا استعارة للصفات التي تشكّل هويتنا الإنسانية. ويُنظر إلى التكنولوجيا على أنّها امتدادٌ طبيعي لبشرتنا، تعكس حاجتنا ورغباتنا ومعرفتنا وتشكّل بها. ومع تطوّر الإنسان، تصبح التكنولوجيا جزءاً جوهرياً من حياتنا، فتفكك الثنائيات الصارمة والحدود كالتّي بين الحيوانات البشرية وغير البشرية، وبين العضويات البيولوجية والآلات، وبين العالم المادي وغير المادي، وأخيراً، الحدّ بين التكنولوجيا والذات:

Francesca Ferrando, *Philosophical Posthumanism* (Theory in the New Humanities) (New York: Bloomsbury Publishing, Kindle Edition, 2019), p. 67.

إنَّ تحولاً في الإطار المفهومي السائد (البردايم) لهو ضروريٌّ لدمج هذه الأفكار الفلسفية والتقنيّات الناشئة. وعلينا أن ننتقل من الاختبار الموحد الذي تتحكّم فيه المؤسسات إلى التعلّم المدفوع بالفضول والمتعدد الفروع. وهذه المقاربة الجديدة تلجّ على أهمية السياق والتفكير النقدي وتتيح للطلاب السيطرة على بيانات تعلّمهم والتقنيات التي يستخدمونها. ويستطيع الطالب، بالسيطرة على بياناتهم وتملّكها، أن يربطوا تعليمهم بنقاط قوتهم وضعفهم واهتماماتهم وأساليب تعلّمهم. وتصبح بيانات التعلّم محمولة أو نقالة يسهل نقلها بين المؤسسات وأماكن العمل، فتزيل الحواجز وتمكّن من إجراء تقويمات شاملة. وبدلاً من الاعتماد الحصري على نتائج الاختبارات الموحدة، سوف تمكّن بيانات تعلّم الطالب الشخصية من إجراء تقويم أشمل لقدراتهم التعلّمية وتقدّمهم وإنجازاتهم الفردية. يميل الاختبار الموحد إلى تقويض فاعليّة الطلاب بفرضه إطار عملٍ صلباً ومسبّق التحديد في تقويم إمكاناتهم. ويشعرون أنّهم مرغمون على الامتثال لتطلّعاتٍ محدّدة بدلاً من أن يتابعوا اهتماماتهم وضروب شغفهم. أما تمكين الطلاب بالسيطرة على بيانات تعلّمهم فيعزّز الشفافية ويشجّع التأمل الذاتي والنموّ. ويمكن الطلاب، بامتلاكهم لبياناتهم، أن يتخذوا قراراتٍ مستنيرة حول أسفار تعلّمهم، ويحددوا المواضيع التي تحتاج التحسين ويتتبّعوا تقدّمهم بمرور الوقت. إضافةً إلى ذلك، يمكن أن ينمي تملّك البيانات هذا حسّاً بالمسؤوليّة وتوجيه الذات كلّما أمعن الطالب في تعليمهم.

في هذا البردايم التعليمي الجديد، سوف يُستبدل بالاختبار القياسي تقويمات بديلة تركز على الفهم

التفكير النقدي ويشجّع على مقارنةٍ أكثر تداخلاً بين الفروع. وتحفّز هذه النقلة الطلاب على أن ينظروا أبعد من حدود المواضيع التقليدية، وأن يستكشفوا الروابط بين الحقول المتنوعة، ما يفضي إلى فهمٍ أشمل للعالم.

يُعدّ عمل سوغاتا ميترا حول بيئات التعلّم ذاتية التنظيم (SOLEs)⁽⁴⁾ أحد الأمثلة لمقاربةٍ للتعليم متداخلة الفروع تشدّد على أهمية التعلّم المدفوع بالفضول والانخراط في المعلومات من فروع متعددة، ما ينمي فهماً أعمق للمواضيع المعقّدة والتفكير النقدي.

برفضنا الحواجز الأكاديمية نستطيع أن نخلق بيئات تعلّم تحفّز دمج المعرفة والمهارات من مجالاتٍ مختلفة لمواجهة تحديات العالم الواقعي. ويمكن المعلمين، بإدماجهم المفاهيم المتعددة الفروع، أن يخلقوا تجاربٍ تعليمية تعكس الطبيعة المترابطة لهذا العالم، ما يساعد الطلاب على رؤية الصلة بين تعليمهم وحياتهم ومهنتهم المستقبلية.

علاوةً على ذلك، يمكن التعليم المتعدد الفروع أن يساعد الطلاب على تطوير عقليةٍ متنامية وهم يتعلمون أن يتأقلموا مع حقولٍ معرفيةٍ متعدّدة ويبحروا فيها. وهذه العقلية أساسية في عالم اليوم المتغيّر بسرعة، حيث يجب على الأفراد أن يكونوا رشيقيين ألمعيين ومدركين لذاتهم.

4 بسّط سوغاتا ميترا، وهو باحثٌ هندي في مجال التعليم، معروف بعمله في تجربة "الفجوة في الحائط" والبيئات التعليمية الذاتية الضبط، الضوء على إمكانية التكنولوجيا والتعاون بين النظراء في تنمية التعلّم المستقل المقود بالفضول بتدخلٍ أصغري، مقدّماً مقارنةً بديلة للنظم التعليمية التقليدية. ينظر:

"Prof Sugata Mitra, Professor Emiretus, Educational Technology," NIIT University, accessed on 12/12/2023, at: <https://bit.ly/3RVVcMg>

أكثر ديناميّةً وتمكينًا، فتمهّد السبيل لمتعلمي اليوم كي يصبحوا مفكرين الغد المؤسسين.

من الجدير بالملاحظة أنّ تطبيق هذا البردايم الجديد يتطلب إقرارًا بأنّ التعليم ليس مجرد نقل للمعارف، بل عملية اكتشاف للذات وتمكين لها. وللتكنولوجيا والتعليم أثرٌ بالغٌ في المستقبلات الممكنة التي يمكن أن يعتنقها المجتمع. ولأنهما محرّكان أساسيان للتغيّر المجتمعي، فإنّهما يصوغان الطريقة التي يعيش بها الناس ويعملون ويتفاعلون فيما بينهم. ويدعو هذا البردايم الجديد إلى اعتناق تعلّم متعدد الفروع، وتحطيم الحواجز بين هذه الأخيرة، واستدخال استشراف المستقبلات: القدرة على تخيل مستقبلاتٍ بديلة واستكشافها وتحسين صنع القرار في الحاضر. ويتطلّب التحول إلى عقليةٍ ما بعد إنسانوية التزامًا ضروريًا بالاعتراف بأنّ قياسًا واحدًا لا يناسب الجميع وأنّ لكلّ طالبٍ حاجاتٍ واهتماماتٍ وقدراتٍ فريدة، هي التي يجب أن تقود رحلتهم التعليمية. وبإدخال استشراف المستقبلات في البردايم التعليمي، نشجّع الطلاب على التفكير النقدي في عواقب خياراتهم الممكنة، وعلى تهيئتهم على نحوٍ أفضل لعالمٍ غيرٍ مؤكّدٍ وسريع التغيّر. ويتوقّف تحقيق هذا البردايم التعليمي، في آخر الأمر، على جهدٍ جمعي لإعادة صوغ فهمنا للتعليم وغايته، ما يسمح للطلاب بأن يصبحوا فاعلين نشطين في تعليمهم وينمي قدرتهم على استكشاف المستقبل والمشاركة في صنعه.

ختامًا، يحتاج النظام التعليمي إلى أن يتطور ليلاقي حاجات عالمٍ سريع التغيّر. ولتحقيق هذا، على المعلمين أن يستندوا إلى أفكارٍ فلسفيّةٍ معاصرةٍ مثل ما بعد الإنسانويّة الفلسفية لدى

الفردية وتطبيق المعرفة في العالم الواقعي. يُضاف إلى ذلك أنّ المتعلّمين سوف يملكون بياناتٍ تعلّمهم وإمكان الوصول إلى التقنيات الأنسب لحاجاتهم وقدراتهم التعليمية.

يشير التفاعل الداخلي، وهو جزءٌ لا يتجزأ من الواقعية الفاعلية، إلى الترابط الداخلي بين جميع عناصر نظام من النظم، ويشدّد على أنّ الفاعلية والمعرفة لا توجدان قبل تفاعلاتها الداخلية، بل تبرزان من تلك التفاعلات. ويصف التفاعل الداخلي العلاقة المعقدة بين الطلاب والمعلّمين وبيئات التعلّم والسياق الاجتماعي الأوسع التي تساهم جميعًا في تشكيل هوية الطلاب وتجاربهم ونتائجهم التعليمية.

تطرح الواقعية الفاعلية، تاليًا، أنّ فاعلية التعلّم ليست سمةً فطرية في الأفراد، بل تنشأ من خلال العلاقات والتفاعلات ضمن نظام. ويؤكد التشابك، وهو مفهومٌ أساسي آخر في الواقعية الفاعلية، على فكرة أن الظواهر جميعًا شديدة الترابط، ما يطمس الحدود بين الذات والمواضيع والمراقبين.

سوف تسمح تقنيات الإدماج والتكامل التي توضع في خدمة التفضيلات الفردية بأن يصمّم الطلاب تجاربهم التعليمية بأنفسهم، ما يعظّم انخراطهم وفعاليتهم. يُضاف إلى ذلك، أنّه بنفاذ الطلاب إلى شتى التقنيات، يمكنهم أن يختاروا الأدوات التي تدعم أهدافهم التعليمية أفضل دعم، سواء كانت محوّلًا توليديًا (GPT-4) كدليل تعلّمي شخصي، أو تقنيات ناشئة أخرى تحسّن تجربة تعلّمهم.

يمكن أن تعزز مقارنة التعلّم الشاملة هذه، بجمعها التعلّم المشخص والتفكير المتعدد الفروع وتملّك الطلاب بيانات التعلّم وتقنياته، تجربةً تعليميّةً

المراجع

Barad, Karen. *Meeting the Universe Halfway: Quantum Physics and the Entanglement of Matter and Meaning*. Durham, NC: Duke University Press, 2007.

Ferrando, Francesca. *Philosophical Posthumanism* (Theory in the New Humanities). New York: Bloomsbury Publishing, Kindle Edition, 2019.

فيراندو، والواقعية الفاعلية لدى باراد، ونقد فوكو للفروع الأكاديمية في الوقت الذي يدخلون تقنيات ناشئة مثل المحوّل التوليدي باعتبارها أدوات للتعلم الذاتي. يشدّد هذا البردايم الجديد على أهمية السياق والتفكير النقدي والتعلم المتعدد الفروع، ويتطلب تغييرًا في عقلية المعلمين وصنّاع السياسات والمجتمع. وباعتناق هذا البردايم الجديد، يمكن أن نخلق نظامًا تعليميًا أكثر تشخيصًا وتنوعًا وتمكينًا يُعدّ الطلاب لتحديات المستقبل.